

التّرجمات العبريّة للقرآن الكريم بين الماضي والحاضر: ترجمة يوسف يوّئال ريفلين أنموذجاً

د. عبد الكريم بوفرة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.

1- توطئة :

تمثّل التّرجمة جسراً يربط ما بين كثير من الحضارات والتّقافات والأمم والشّعوب والأفراد والجماعات. وهي بذلك تساهم في إغناء المعارف وإثرائها، كما تساهم في تبادل التّجارب والخبرات. فالترجمة فعل إنسانيّ نبيل يسعى لأن يتعامل ويتفاعل مع الإنسان في بعده الإنساني.

والترجمة في معناها الأساسي هي نقل من لغة إلى لغة أخرى (أي من مصدر إلى هدف)، والنقل لا يعني الأصوات فقط، وإنما يرتبط باللغة والتّقافة.

ولكن ما معنى أن تكون الترجمة خيانة حسب التعبير اللاتيني

المعروف ؟

ألا يمكن أن نتصور المسألة في بعديها العلمي والأخلاقي ؟

ألا يمكن أن نطرح هنا استحالة نقل اللغة الإنسانية من لسان إلى آخر ؟

من يستطيع التحكم في تعابير لغة ما بحمولاته المعرفية والنفسية والرمزية المختلفة من حال هو حالها إلى شكل لغوي آخر ؟

بل من بإمكانه تقديم تعريف واضح للغة الإنسانية عامة ؟

أليست سرًا من الأسرار الإلهية المودعة في نفس الإنسان ؟

أليس هذا الإنسان هو الإنسان التواصلي بامتياز ؟

هذه الأسئلة وغيرها كثير جدًا تدعونا إلى التأمل الملي في اللغة باعتبارها أكثر من نظام، وأعمق من نسق، وأخطر من مجرد أداة في التواصل، وأكبر من علامات أو أصوات تعبر عن الأغراض...

إن اللغة الإنسانية هي هذا كله وأكثر من هذا كله.

ولعل هذه الصيغة هي التي ستكون ذريعة لنا فيما يلي من حديث عن الترجمة وإشكالاتها المختلفة.

ومما يدعو إلى التأمل العميق في الترجمة الحساسة المفرطة لهذه المسألة حينما ترتبط بترجمة النصوص الدينية، على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها واعتقاداتها.

ولا نغالي حينما نعتبر الترجمة مجرد "إعادة كتابة" من لغة إلى لغة أخرى، مع ما تعنيه الإعادة من قلب للصبغ والتراكيب والتصورات والأنساق والسياقات...

و"إعادة الكتابة" عملية شاقة للغاية لأنها تقوم على رهان صعب التحقق، ونقصد به "استيعاب" فضاء اللغة التي نترجم منها بقدر درجة استيعابنا للغة التي نترجم إليها (وربما أيضا للغة الواسطة بينهما في بعض الأحيان).

وتقودنا هذه الملاحظة للحديث عن المترجم وصلته بفكرة التعدّد اللغوي. فإتقان اللغات ومهارات الاستيعاب وممارسات العمل الدّعوب شروط لازمة في هذه العملية في مرحلة أولى. ثمّ لا بدّ من ممارسة الإبداع في مرحلة لاحقة، وهي التي نعني بها "إعادة الكتابة".

فالمترجم كاتب، بل هو ناسخ (un copiste) في جانب أساسي من عمله، بل هو عابر من فضاء إلى آخر. ولا يخفى ما في العبور من انتقال دائم، وارتحال متّصل، وحركة دائبة.

فالنّسخ أي ممارسة الكتابة وكأنّها حرفة تميّز صاحبها عملية أساسية في نجاح الترجمة باعتبارها - كما سلفت الإشارة - إعادة كتابة.⁽¹⁾ وتتجلّى أهمية الترجمة وخطورتها وخصوصيّاتها المختلفة والمتشعبة في فضاء اللغات نفسها.

فحينما نأخذ اللغة العبرية الحديثة مثلا ونرغب في ترجمة تراكيب وتعابير من اللغة العربية إليها سوف نصطدم بمنطق في اللغة العبرية لا يستوعبه إلا الماسكون بقدر معين من ناصية هذه اللغة. ونمثّل لهذا الكلام بالجمليتين التاليتين حينما نريد ترجمتهما "من اللغة العربية إلى اللغة العبرية" :

- أشعار حايم نحمّان بياليك.

- أشعار أحمد شوقي.

في الجملة الأولى حديث عن شاعر يهودي⁽²⁾ تسمح اللغة العبرية بترجمة الجملة الوارد فيها اسمه باستعمال الإضافة من الناحية التركيبية، لذا نقول :

שירי חיים נחמן ביאליק.

1) Cf. Abdelfattah Kilito : 2007.

Le cheval de Nietzsche. (Récits).

Editions Le Fennec, Casablanca, Maroc, 178 pages.

2) Haiim Nahman Bialik (1873-1934).

بينما لا يمكننا ذلك من حيث سلامة التعبير في الجملة الثانية، لذا فالصواب في الجملة الثانية أن نكتب :
שירים של אחמד שאוקי .

في الحالة الأولى عندنا جملة إضافية، وفي الحالة حالة تركيبية مطلقة :

Etat construit dans la première phrase et état absolu dans la deuxième phrase.

فلماذا هذا الاختلاف إذن ؟

يعود الاختلاف إلى اسمي الشاعرين أساسا. فبباليك هو ابن الثقافة اليهودية، وبالتالي تنطبق عليه حالة الإضافة أي ذلك التعبير الأدبي الرفيع والجميل في اللغة العبرية. بينما لا تصح هذه القاعدة اللغوية في حالة أحمد شوقي لأنه ينتمي إلى فضاء آخر غير فضاء الثقافة اليهودية.

ولعل هذه الملاحظة تصلح لتكون مدخلا عاما للحديث عن علاقة اللغة بالفكر، واللسانيات بالإيديولوجيا (3).

لذا يبدو ضروريا الانتباه إلى خصوصيات كل لغة ما دامت تحمل وعاء فكريا وثقافيا لكثير من المجتمعات والبيئات.

ولذا يبدو ضروريا التفكير في تصور فيه محاولة لتأصيل عملية الترجمة. وقد سبقنا طه عبد الرحمان (4) إلى ضرورة التمييز بين مستويات

3) Cf. Michel Masson : 1986.

Langue et idéologie. Les mots nouveaux en hébreu moderne,
Editions du CNRS, Paris.

(4) أنظر : طه عبد الرحمان : 1995 و 199

فقه الفلسفة. جزآن.

منشورات المركز الثقافي العربي. بيروت/ الدار البيضاء .

ثلاثة في ترجمة النص الفلسفي (ويمكن أن تتسحب على بقية النصوص الأخرى).

فهو يتحدث عن :

- التّرجمة التحصيليّة،

- والتّرجمة التوصيليّة،

- والتّرجمة التأصيليّة.

ويقصد بالنوع الأول، تلك الترجمة التي تتمسك "بحرفية اللفظ". ويغلب على المتعاطي مع هذه الترجمة التحصيليّة أن "يقصد التعلّم من النصّ الأصلي، والتّلمذ على صاحبه، هذا على فرض أن له القدرة على استيعاب ما يترجمه" (5).

أمّا التّرجمة التوصيليّة فتتمسك "بحرفيّة المضمون دون حرفية اللفظ". والغالب في المتعاطي لها أن يكون قادراً على استيعاب النصّ الأصلي بما يكفي، وأن يقصد نقل ما استوعبه منه إلى المتلقي على وجه ممارسة التعلّم أقرب منه إلى التبليغ.

والنّوع الثّالث، أي التّرجمة التأصيليّة، تقوم على التصرّف "في المضمون كما تتصرّف في اللفظ. والغالب في المتعاطي لها أن يقصد رفع عقبات الفهم الزائدة عن الضرورة من طريق المتلقي. ثمّ إقداره على التفاعل مع المنقول بما يزيد في توسيع آفاقه ويُروده بأسباب الاستقلال في فكره".

ويدعو طه عبد الرحمان إلى الانطلاق في عمليّة التّرجمة، وعلى غير ما هو مألوف عند المترجمين، من المستوى الثّالث إلى المستوى الأول، وليس العكس، أي من التّرجمة التأصيليّة إلى الترجمة التحصيليّة.

(5) المرجع نفسه : 19/2.

وغير خاف أن عملية التأسيس هذه، إن تم استيعابها بشكل جليّ، سوف تدفع العقل البشري إلى ممارسة ترجمة أو فعل فيه كثير من الإبداع.

ونتصور إمكانية أن تكون الترجمة - بهذا المعنى أساسا - في مستوياتها المختلفة رافدا في تنمية العقل البشري، وفي التعارف ما بين الحضارات والثقافات والأمم والأفراد والجماعات والشعوب.

2 - الترجمات المختلفة للنص القرآني.

1-2. ملاحظات أولية.

تنبغي الإشارة بدءا إلى أن ترجمة النصوص الدينية (يهودية كانت أم مسيحية أم إسلامية) تثير سؤالا جوهريا حول قدسية تلك النصوص، وحول قدسية اللغة التي كُتبت بها تلك النصوص. كما يذكر Jean- Claude Margot (1990)⁽⁶⁾.

ففي حديثه عن نصوص الكتاب المقدس المكتوبة أصلا باللغات العبرية والآرامية واليونانية نجده يشير إلى اللغة التي كُتبت بها الأناجيل :

« [Le] langage du Saint-Esprit . »

« La syntaxe du Saint-Esprit. »

« On a voulu autant que possible garder jusqu'à l'ordre des mots et la construction des phrases, puisque dans la Bible ce ne sont pas seulement des idées qui sont sacrées et inspirées , mais les mots eux-mêmes. »

والنتيجة أن ترجمة الكتاب المقدس تنطبق عليها منهجية خاصة تسمى :

6) MARGOT Jean-Claude : 1990.

Langues sacrées et méthodes de traduction,

Revue TTR N° 2, Vol.3, France, p.15-31.

« *La méthode de traduction dite à équivalence formelle largement enseignée, recommandée et appliquée dans le domaine de la traduction biblique.* »

ويسود اعتقاد عند كثير من المترجمين للكتاب المقدس أن الترجمة نفسها بصفتها إشكالية ثقافية عويصة قد طُرحت بحدة حينما تم الانتقال من منهجية الترجمة الحرفية *La traduction mot-à-mot* للنص الديني إلى ترجمة فيها كثر من التصرف *Une traduction de sens* في حالة النصوص غير الدينية. فالنص الديني هو الذي يفرض نوع الترجمة، وكأن حرفية النص في صلته بالترجمة تحترم المشاعر الدينية، وكأن ترجمة المعنى فقط (أو المضمون) لا تؤثر على النصوص الأخرى، أي النصوص غير الدينية.

2-2. ترجمات النص القرآني.

تعددت ترجمات معاني القرآن الكريم إلى لغات مختلفة، منها:

لغة بروناي، ولغة الزولو في جنوب إفريقيا (بعض السور فقط)، والإنجليزية، والإسبانية، والفرنسية، والمالوية (ماليزيا)، واليونانية، والبرتغالية، ولغة التاميل، واللغة الكورية، والبولونية، ولغة الكازاك (كازاخستان)، ولغة الشيشان، ولغة اليوروبا، واللغة المقدونية، والبوسنية، والأوردية، والسندية، والهوسا، واللغة الفلبينية، واللغة التايلاندية، والتركية، والصينية، والألمانية، والأندونيسية، والصومالية، والألبانية...

هذا دون الحديث عن عدد الترجمات داخل اللغة نفسها. فقد وصل عدد الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية إلى ما لا يقل عن 200 ترجمة. أما عدد الترجمات فقد وصل إلى :

51 ترجمة باللغة الإنجليزية،

و47 ترجمة باللغة الألمانية،

و36 ترجمة باللغة اللاتينية،

31 ترجمة باللغة الفرنسية،

15 ترجمة في اللغة الإيطالية (7).

ومن الترجمات الحديثة جدا لمعاني القرآن الكريم الترجمة إلى الفرنسية التي قام بها Sami Awad Albeeb (2008) (8).

2-3. ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية.

نشير في البداية إلى ترجمة André Chouraqui (1990) (9). وهذه الترجمة الفرنسية بالذات تمت مباشرة من اللغة العبرية، وليس من اللغة العربية كما يمكن أن يتبادر إلى الأذهان). ولعل هذا الإصرار على اعتماد اللغة العبرية في عملية الترجمة تلك نابع من تصور فكري ديني حول القرآن الكريم والكتاب المقدس عموما. وما يؤكد هذه الفكرة آخر كتاب تركه المؤلف وسوف يصدر بعد وفاته (1917-2007)، وهو كتاب ضخم يضم ترجمات التوراة والأنجيل والقرآن الكريم في مجلد واحد. وأطلق على هذه الترجمة اسما سوف يثير الكثير من الجدل (10).

(7) نجدة رمضان (بدون تاريخ).
ترجمة القرآن وأثرها في معانيه، ص. 136.
العنوان الإلكتروني: www.kotob.has.it

8) ALBEED Sami Awad.

Le Coran.

Editions de l'Aine, Vevy, Suisse, 2008, 579 pages.

ونشير إلى أن المترجم من أصول فلسطينية، وهو مسيحي الديانة، وهو يحمل الجنسية السويسرية، ويعيش اليوم في سويسرا.

9) CHOURAGUI, André .

L' Appel. 1440 pages.

Editions Robert Laffont, 1990, Paris.

10) CHOURAGUI André : édition posthume.

La Trilogie de l'Alliance : La Bible, Le Nouveau Testament Le Coran (sous coffret).

Editions Diane de Sellier, Paris, 2008.

يقول André Chouraqui في مقدّمة ترجمته (1990) بأنّ كل ترجمة في حد ذاتها تثير إشكالا كبيرا، وخصوصا حينما يكون القصد ترجمة القرآن الكريم، لارتباط العمليّة بالشرح والتفسير والتأويل.

ويضع المترجم مكانة التّرجمة اللاتينية Al Coran في المرتبة نفسها التي احتلتها الترجمة اللاتينية للكتاب المقدّس، المعروفة باسم La Vulgate، نظرا لميزتين أساسيتين تميزهما، وهو عدم إمكانيّة ترجمتهما.

« *Le Coran comme la Bible sont des textes intraduisibles* ».

لماذا ؟ لأنّ :

« *Le Coran est, à l'origine, un message verbal et non écrit.* »

ويتعتمد المترجم تقديم صورة مغلوبة عن دعوى تطابق واضح بين الله و Elohim في هذه الكتب المقدسة. ونحن لا نشاطر المترجم في رأيه هذا لاعتبارات عديدة ترتبط بصورة الإله التّوراتي في الكتاب المقدّس، وهي صورة تحمل في مقاطع كثيرة صورة عن إله متعدّد؟؟

ويضيف المترجم أنّ أسماء الله الحسنى التسعة وتسعين (99) المذكورة في القرآن الكريم "ينقصها" اسم واحد لكي تصل إلى العدد (100)، لكي تكمل المائة، وهذا الرّمق الناقص هو، حسب زعمه، "יהוה"، أو "يهوه"، أو WHYH، أو Le tétragramme.

2-4. ترجمات القرآن الكريم إلى اللّغة العبريّة.

وصل عدد التّرجمات العبريّة لمعاني القرآن الكريم إلى خمس ترجمات.

- الترجمة الأولى: تعود إلى القرن 16 الميلادي، وقام بها الحاخام يعقوب بن إسرائيل. وهي لا زالت مخطوطا إلى الآن. وتوجد نسخ منها في

العديد من المكتبات العالمية مثل مكتبة الكونجرس الأمريكي ومكتبة المتحف البريطاني. وصدرت هذه الترجمة في ثلاثة أجزاء (11).

في الجزء الأول حديث عن حياة النبي محمد ﷺ.

في الجزء الثاني ترجمة لـ 27 سورة.

وفي الجزء الثالث ترجمة لبقية السور.

ويبدو من خلال مقامة المترجم أن الترجمة لم تكن في الأصل من اللغة العربية، وإنما كانت (وهنا وجه الغرابة) من اللغة الإيطالية.

- الترجمة الثانية : قام بها المستشرق الألماني Hermann Reckendorf

سنة 1857. وهو أستاذ بجامعة هايدلبرغ. وعنوان الترجمة Der Koran انطلاقاً من الأصل العربي، وسماها باللغة العبرية: אלקוראן או המקרא. صدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة سنة 1937 عن دار דביר في تل أبيب. ونشير إلى الاسم الكامل للمترجم باللغة العبرية هو אבי חיים הרמן רקנדורף. ومما يثير الانتباه أن المترجم افتتح عمله بقصيدة في رثاء أبيه، بعنوان "أبي الغالي؟؟".

- الترجمة الثالثة : قام بها المستشرق يوسف يوثال ريفلين سنة 1936

بعنوان אל קראן. (سوف نعود بالتفصيل لهذه الترجمة بعد قليل).

- الترجمة الرابعة : قام بها المستشرق אהרון בן שמש سنة 1973

بعنوان אלקראן. ومما يثير الانتباه عنوان الترجمة (أداة التعريف في اللغة العبرية المتصلة بكلمة القرآن العربية). وفي هذه الترجمة كثير من التحامل، بل

(11) محمد أحمد صالح حسين : 2008.

أثر الصراع العربي الإسرائيلي في حركة الترجمة من العربية إلى العبرية، ص. 235.

مجلة عالم الفكر، المجلد 36، العدد 3، من ص. 241-280، يناير - مارس، الكويت، 2008.

نقرأ فيها تصريحاً واضحاً من المترجم بأن الهدف من ترجمته لم يكن سوى إظهار مكانة اللغة العبرية والتوراة والدين اليهودي، أي إظهار تفوق الديانة اليهودية على الإسلام. بل نجد المستشرق يستغفر ربه على "ما اقترفه من ذنب، وهو يترجم معاني القرآن الكريم" ٢٢.

- الترجمة الخامسة : قام بها المستشرق "أوري روبين" אורי רובין Uri Rubin سنة 2005 بعنوان הקוראן. ونلاحظ في العنوان اتصال أداة التعريف العبرية بكلمة "قرآن". والمترجم هو أستاذ بقسم الدراسات العربية والإسلامية، في كلية الآداب، بجامعة تل أبيب.

ولما صدرت هذه الترجمة كتبت صحيفة "يديעות أchronوت" العبرية بتاريخ 2005/03/31 " הקוראן פלם רביעי " (القرآن للمرة الرابعة، الرابعة لأنه لم يتم احتساب الترجمة الأولى لأنها كانت مخطوطة فقط). وقد صاحب صدور هذه الترجمة صخب إعلامي كبير، خصوصاً عقب تصريحات المترجم التي كان يعبر فيها عن مواقفه الصريحة إزاء الترجمات السابقة.

فقد اعتبر ترجمة ريفلين ترجمة دقيقة، غير أن ريفلين استخدم عبارات لغوية يصعب على القارئ العبري فهمها من دون مساعدة من الأصل العربي. أما ترجمة أهارون بن شمش فهي واضحة وسلسة، إلا أنها حرة وغير دقيقة نسبياً.

وللأستاذ أوري روبين مجموعة من الأعمال المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية معاً، منها :

- 1995 : The eye of the beholder. The life of Mohammad as reviewed by the Early Muslims (a textual analysis). Princeton. 289 pages.
- 1999: Between Bible and Qur'an: the children of Israel and the Islamic self-image. Princeton 318 pages.

- 2002: ארץ ישראל ובני ישראל.

- 2005: במקורות האסלאם. לשאלת טולדות של הקוראן.

- 2007: בין מכה וישראלים.

والأستاذ أوري روبين متخصص في اللغة العربية والقرآن الكريم والتفسير والسيرة النبوية والحديث الشريف. وتقع الترجمة في 616 صفحة، وقد استغرق العمل فيها خمس سنوات.

3 - يوسف يوثال ريفلين.

3-1. ولد عام 1890 بالقدس. وأكمل دراسته في موضوع الدراسات الإسلامية في جامعة فرانكفورت في ألمانيا. وشغل منصب محاضر كبير في الجامعة الأمريكية.

كما كان نشيطاً في منظمة المعلمين العبريين التي ترأسها بين عام 1930 وعام 1941 (אגודת המורים). وتوفي سنة 1971.

وقام ريفلين بترجمة القرآن الكريم، وقصص ألف ليلة وليلة، كما ترجم محاضرات غولدسيهر حول الإسلام إلى اللغة العبرية. وقد طُبعت ترجمته لمعاني القرآن الكريم خمس مرات.

وحيثما نقرأ مقالاً مطولاً له حول "قصة يوسف وموسى في القرآن"، סיפור יוסף ומשה בקראן، نجد أنه يذكر أن "محمداً هو الذي ذكر أسماء يوسف وموسى مثلاً ذكر أسماء أخرى في القرآن"؟؟

ويعتبر أن ورود اسمي يوسف وموسى في التوراة كان يتم ضمن سياق تاريخي، مرتبط بسلسلة من الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل؟؟ بينما محمد - بزعمه - لا يأخذ بالاعتبار ذلك السياق التاريخي؟؟

وفي هذا الكلام إشارة صريحة إلى "تأليف" القرآن من طرف "محمد"، ولا نفهم كيف تستقيم الترجمة إذا كان المترجم ينطلق في عمله من تحامل واضح على الإسلام وعلى أتباع الديانة الإسلامية، هذا دون الحديث عن سوء أدب مع نبي الإسلام عليه السلام.

ومما يؤاخذ على ريفلين وغيره من المترجمين لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية :

- تعريفه للإسلام أنه "يهودية عربية".
- التصريح بأن القرآن "من تأليف محمد".
- نفي صفة الأمية عن الرسول الكريم؟
- ترجمة ريفلين تحديدا اعتمدت على لغة عبرية توراتية، مما يعني تشابها في الأساليب والتراكيب بين عبرية التوراة وعربية القرآن. وفي هذه المسألة كثير من التحامل والتجني الذي لا يخفى على المتخصصين في مجال الدرس اللغوي المقارن.

3-2. ترجمة ريفلين.

عنوان ترجمة ريفلين אלקרן, الطبعة الرابعة : 1987، دار النشر : דביר תל-אביב، صدرت الترجمة في جزأين، عدد الصفحات : أكثر من 800 صفحة.

3-3. ملاحظات حول ترجمة ريفلين.

ما يلاحظ على ريفلين أنه قام بعملية ضغط *une compression* لكل خمس آيات قرآنية تقريبا، وحولها إلى آية واحدة.

ولا ندري دواعي هذا الضم وهذا الضغط ؟ سوى الرغبة في إحداث طابع موسيقي يقترب كثيرا من الناحية الصوتية مما هو موجود في عبرية التوراة ؟

مما يضعنا أمام تساؤل مشروع، يرتبط بطبيعة ترجمة نص ديني، ومدى إمكانية الانطلاق من اللغة - المصدر إلى اللغة - الهدف ؟

إن التصور "التقليدي" حول إمكانية وضع تصور أفقي ينطلق من لغة إلى لغة أخرى أصبح متجاوزا اليوم مع مثل ترجمة ريفلين التي أخضعت النص القرآني لمنطق النص التوراتي ومقتضياته اللغوية والأسلوبية والصرفية والتركيبية...

إن القول بوجود علاقة لغوية بين العبرية والعربية، بصفتها لغتين ساميتين، لا يمكن أن يكون ذريعة في عملية الضغط تلك ؟

فهل بعد هذا كله يمكن أن نساير أحمد فوزي حميدة (2004)⁽¹²⁾ حول الهدف أصلا من الترجمة إلى اللغة العبرية، ويحدده في مقصدين :

. الأول : هو دراسة الشخصية العربية والإسلامية.

. الثاني : هو تشويه الإسلام ونبي الإسلام.

لا شك أن اعتبارات منهجية تجعلنا نعمن النظر كثيرا في مثل هذه الترجمات لابتعادها عن الرؤية المثالية حول عملية الترجمة التي تكفي فقط بنقل نص من لغة إلى لغة ؟

3-4. نماذج من ترجمة ريفلين.

يضع ريفلين أرقام الآيات القرآنية بحروف عبرية قبل الآيات، خلافا للترتيب القرآني.

مثلا :

פרשת הפתיחה.

נתנה במכה

(12) أحمد فوزي حميدة : 2004.
حول ضرورة ترجمة معاني القرآن للعبرية.
موقع: www.islmaonline.net

ופסוקיה שבעה.

בשם אלוהים הרחמן והרחום.

א התחלה לאלהים רבון העולמים.

ב הרחמן והרחום.

ג אדון יום הדין.

ד אותך נעבד וממך נבקש עזר.

ה נחנו באורח מישרים.

ו אורח אלה אשר חנחות אותם.

ז (אשר) לא החרון עליהם ולא (מן) התועים.

فالتزقيم هو: أ/ب/ג/ד/ה/ו/ז.

يضيف المترجم كلمتين ويضعهما بين قوسين.

يضيف المترجم بعض الهوامش، مثلما فعل في الهامش رقم 1، وهو

يتحدث عن سورة الفاتحة:

"פרשה ש זו נקראה בשם פרשת הפתיחה משום שהיא עומדת

בראש הקוראן."

- (אשר) לא החרון עליהם (3).

- (3) או: אשר אינם זעומים.

• ملاحظات حول سورة الفاتحة.

- ذكر المترجم اسم الجلالة بالمعنى التوراتي للكلمة أي "إلهيم". فلماذا

يتحول "الله" في القرآن الكريم إلى أלוהים؟؟

- كما أعطى مقابلاً توراتياً لكلمة "سورة" فأصبحت פרשה؟؟

- לא החרון עליהם (غير المغضوب عليهم).

- نقرأ في المعجم العبري: חרון بمعنى سخط، وغضب، وحنق، كما

تحمل معنى الغيظ أي irritation في اللغة الفرنسية. لكن هذه الكلمة لا تعني

المغضوب، وإنما الغاضب؟؟ فكلمة חרונים في الجمع تعبر عن الغاضبين والساخطين، وليس المغضوب عليهم؟؟

- لا يوجد في اللغة العبرية فعل חרן بمعنى غضب ؟ لكي نستخرج منه صيغة المفعول ؟

- חרלים تعني "تائه" أو "ضال" أو "مشرك". ويمكن أن نضع درجات في هذه المعاني لكي نقرب ما أمكن من المعنى القرآني لكلمة (الضالين) كما هي في اللغة العربية.

- إذا كان ريفلين قد احترم عدد الآيات الموجودة في سورة الفاتحة، وهي 7 آيات، فإن عدد الآيات كان يختلف من سورة إلى أخرى، ولا ندري أسباب هذا الاختلاف.

- يوضح الجدول التالي اختلاف عدد الآيات في ترجمة ريفلين عن العدد الحقيقي للآيات كما هي في القرآن الكريم.

عدد الآيات في ترجمة ريفلين	عدد آياتها في القرآن الكريم	السورة
כפז أي 286	286	البقرة
כז أي 200	200	آل عمران
קעז أي 175	176	النساء
קסז أي 165	165	الأنعام
קזז أي 205	206	الأعراف
עז أي 76	75	الأنفال
קל أي 130	129	التوبة
קטז أي 109 יונה עליו השלום	109	يونس
קכג أي 123	123	هود
קיז أي 111 יוסף עליו השלום	111	يوسف

- يلجأ ريفلين إلى إعطاء أسماء توراتية لكثير من التسميات المذكورة في القرآن الكريم مثل:

آل عمران ← بيت لعمرم.

يونس ← يונה علّيو השלום.

يوسف ← يوسف علّين השلום.

- يستعمل ريفلين كثيرا من المصطلحات اللغوية المرتبطة بعبرية التوراة أساسا مثل: פרשה / פסוק / סוף פסוק / מקף ...

- يستعمل ريفلين بعض العلامات، مثل الفاصلة والمزدوجتين " " للدلالة على حوار مثلا، والقوسين () داخل المتن لشرح كلمة أو توضيحها، بالإضافة إلى كثير من التعليقات والإضافات في هامش الصفحات.

- يستعمل المترجم واو القلب بشكل مكثف. وهذه الواو هي خاصية أساسية من خصائص عبرية التوراة. مما يجعلنا نبدي سؤالا حول صلة النحو العبري التوراتي بقواعد اللغة العربية.

3-5. الترجمة أمّانة ؟

يحق لنا أن نطرح هذا السؤال في صلته بعملية الترجمة بمعناها المطلق، وليست الترجمة في بعدها الأخلاقي والإيديولوجي ؟

ونورد على سبيل المثال لون البقرة (كما هي في سورة البقرة).

. لون البقرة :

لنأخذ الآية 69 من سورة البقرة : ﴿ قَالُوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾ .
ملاحظة أولى.

الآية 69 من سورة البقرة كما هي في القرآن الكريم يصبح رقمها 70 أي
64 في ترجمة ريفلين :

" وיאמרו: קרא לנו אל אלהיך ובאר לנו מה מראה. " ויאמר : " כה
אמר. פרה צהבה צהבה מאד משמחת רואה " .

نقرأ في المعجم العبري (13) :

צהבה : أصهب، أصفر، أشقر. لكن الأصفر الفاقع في المعجم العبري
يقال له : צהבהב.

لكن ما لون צהבה צהבה מאד الحقيقي ؟

وما درجة اصفراره ؟

وما معنى اللون الفاقع في اللغة العربية ؟

نقرأ في المحيط في اللغة (14) "والفاقع : يُجعل صفة في الحمرة والصفرة
والبياض... وقعوا أديمكم : حمروها " .

ولعل تشابه البقر وتشابه الألوان أو عماها هو الذي جعل كثيرا من
مترجمي معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية يتحدثون عن اللون الأحمر، أو
عن البقرة الحمراء ، أو كما هي معروفة في الفكر الديني اليهودي باسم פרה
אדומה، أو *La Vache Rousse*.

(13) דוד סגיב: 1990.

מילון עברי-ערבי לשפה העברית בת זמננו. 2 כרכים. 1494/2
הוצאת שוקן ירושלים ותל-אביב.

(14) كافي الكفاة صاحب إسماعيل بن عباد: طبعة 1994. الطبعة الأولى.
المحيط في اللغة. 11 جزءا. 191/1. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.
الناشر: عالم الكتب. بيروت.

وترتبط هذه التسمية بفكرة "الهيكل الثالث"، كما ترتبط فكرة بناء الهيكل بمفهوم "الخلاص" و"نهاية الشتات" أو שלילת גלות في الفكر الديني اليهودي.

ولا يخفي ما لمثل هذا الإحياء من إشارة ضمنية وأخرى صريحة إلى مسألة "وجود تأثير" للتوراة، وحضور خفي لها، أو حضور من وراء حجاب في الفكر الإسلامي⁽¹⁵⁾.

- نلاحظ أن ريفلين قام بإخضاع النص القرآني لقواعد اللغة العبرية التوراتية من ترقيم بالحروف العبرية، واستعمال لكلمات عبرية أساساً، وتصوير للإله على أنه هو نفسه "يهوه" التوراتي، وكذلك باستعمال بعض الأدوات اللغوية الموجودة في النص التوراتي، مثل "هاء" Mappik، و"الفتحة المسروقة"، Maqqef. ويمكن أن نضيف علامات النبر Mil'el و Milra من الناحية الصوتية الوظيفية، بالإضافة إلى قضايا صرفية مثل الزمن الصرفي وواو القلب...

- هذا الإخضاع دليل على تصور مسبق حول علاقة القرآن بالتوراة، أو بتعبير آخر إصرار على إيجاد خلفية يهودية في الديانة الإسلامية.

3-6. الترجمة أمانة...مرة أخرى...نماذج أخرى...

ونذكر فيما يلي بعض الآيات التي يسعى من خلالها المستشرقون الإسرائيليون إلى ترجمتها إلى اللغة العبرية وفق نظرة يهودية فيها كثير من الأحكام المسبقة والخلفيات الدينية.

- الآية 34 من سورة التوبة.

(15) د. عبد الكريم بوفرة (2008) (11).

القرآن الكريم والتوراة في زمن العولمة الدينية.

ندوة : كلية اللغة العربية- مراكش. 20-21 نونبر 2008

- الآية 11 + الآية 93 من سورة آل عمران.

- الآية 51 من سورة النساء.

وهي آيات يريد هؤلاء المترجمون أن يجعلوها معبرة عن قيمة معنوية يحظى بها العنصر اليهودي.

- الآية 34 من سورة التوبة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾.

ونقرأ في ترجمة ريفلين (188/1).

" המאמינים הנה רבים מהחכמים והנזירים יוכלו את הון האנשים בשוא וישיבו מדרך אלהים... " .

تستوقفنا هنا كلمة מהחכמים، ومعناها الحرفي: ومن الحكماء، والحكماء ليسوا بالضرورة أبحارا !، بل إن المعجم العبري حينما يطلق على الحبر نعت (حاخام) فذلك بالمعنى الدني للكلية. ولا نظن أن ريفلين كان يتحدث عن الأبحار بالمعنى التوراتي للكلمة في هذا السياق.

- الآية 93 من سورة آل عمران : " كلّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن نُنزل التوراة. قل فأتوا بالتوراة وأتلوها إن كنتم صادقين " .

نقرأ في ترجمة ريفلين (59/1).

ملاحظة : الآية 93 انتقلت مع ريفلين إلى رقم 87! لماذا ؟

" כל המאכל היה מתר לבני ישראל מלבד אשר אסר ישראל ול נפשו בטרם הורדת התורה. אמר: הנה הביאו את התורה וקראו בה אם אמת תדברו. "

نلاحظ أن ريفلين وضع علامة Mappik التوراتية في كلمة בה، كما نلاحظ أن الصياغة الأخيرة لا تعبر صراحة عن الآية القرآنية : אם אמת תבטח.

- الآية 51 من سورة النساء: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا أهولاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ".

نقرأ في ترجمة ريفلين (84/1).

ملاحظة: الآية 51 تحولت مع المترجم إلى الآية رقم 47، ولا ندري لماذا هذا الاختلاف ؟

" האם לא התבוננת אל אלה אשר נתן להם חלק מן הספר..."

ألم يكن من الأفضل تحديد معنى הספר هنا، ولو في الهامش ؟ ثم هناك الفعل התבונן (من الجذر: בין/בן) بمعنى: استوعب، فهم/تبين/.

غير أن هذا الجذر يعني في العبرية: تأمل. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: هل تعني "ألم تر" فكرة التأمل ؟ أو التأمل فقط؟

- يبدو أنه ليس من السهل ترجمة النص القرآني إلى اللغة العبرية، خصوصا حينما نربط الترجمة بمسألة الإعجاز في معناه اللغوي. ومن صور هذا الإعجاز صعوبة ترجمة بعض الصور البلاغية العربية، بالإضافة إلى ما يسمى بالالتفات، مثل الالتفات المعجمي (سنة/عام)، (البحر/اليم)، والالتفات على مستوى الصيغ، مثل:

نزل/أنزل، ننجي/أنجي، ضلال/ضلالة...

بالإضافة إلى المخالفة على مستوى الإعراب أو التقديم والتأخير أو التذكير والتأنيث...

أمّا أدوات التوكيد ⁽¹⁶⁾ في اللغة العربية فهي من الأمور التي تعثرت فيها ترجمة ريفلين كثيرًا.

-ومما يثير الانتباه في ترجمة ريفلين أيضا الاستعمال العشوائي لكلمتي מכחש וכופר للدلالة على معنى (كافر) في اللغة العربية. ذلك أن الجذر כחש يعني الإضمار والإخفاء، ولكنه يعني أيضا الكذب.

فرق شاسع إذن بين الكاذب والكافر !

ولا ندري دوافع اختيار المترجم صفة الكذب للدلالة على الكفر !

- وسبق لنا الإشارة إلى الاختلاف الواضح في عدد الآيات القرآنية كما هي في المصحف الشريف، وعددها كما هي في ترجمة ريفلين. وقد لجأ المترجم إلى تقنية الضغط أو الضمّ من أجل تحقيق هدف معين انطلق منه المترجم في عمله هذا. وهكذا أصبحت الآيتان 39 و40 من سورة البقرة عبارة عن آية واحدة (الآية 38 عند ريفلين).

وتحولت الآيتان 64 و65 من سورة البقرة إلى الآية 63 في ترجمة ريفلين.

-والغريب أن هذا الاختزال يقابله في أحيان أخرى تقطيع **un découpage** لآيات مجتمعة في القرآن الكريم، مثل الآية 216 و282 في سورة البقرة مثلا، والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

16) AZAB Mahmoud.

Les particules de corroboration.

In : REEH. N° 5. p.13-32, 2001.

Université de Paris 8 ;

- ونلاحظ في الترجمة أيضا غياب كثير من الكلمات المذكورة في القرآن الكريم، مثل كلمة "النار" في الآية 201 من سورة البقرة : "ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ". فكلمة "النار" غابت في الترجمة بفعل ضم الآيات من جهة، وتعتمد عدم ترجمتها من جهة أخرى.

- وحينما نقرأ الآية 208 من سورة البقرة : " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين"، نجد ريفلين يترجم كلمة السلم (في الآية 204 عند المترجم) :

" המאמינים בואו בדת האסלאם כלכם..."

فكلمة (السلم) في القرآن تحولت إلى בדת האסלאם، أي دين الإسلام في ترجمة ريفلين.

مما يعني إكراها لجميع الأمم والشعوب من أجل اعتناق الإسلام. وهذا المعنى غير موجود في سياق هذه الآية. ثم لماذا يعتمد المترجم إحداث خلط بين كلمتي السلم والإسلام؟؟

- ولاحظنا في ترجمة ريفلين أيضا حذفًا لكلمة (إليه) في الآية 285 من سورة البقرة :

" آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه".

يترجم ريفلين هذه الآية : " יאמין השליח באשר הורד מאת אלהיו ". وينتج عن تعمد إغفال (إليه) قلب كامل لمعنى الآية !

وهكذا يصبح معنى الترجمة (آمن الرسول بما أنزل من إلهه). ولا يخفى ما في هذه الترجمة من إشارة إلى الكتب السابقة على القرآن الكريم.

- بل قد يصل الأمر بالمترجم إلى إغفال آية كاملة مثل الآية 256 من سورة البقرة: " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ".

- وكذلك الأمر بالنسبة للآية 193 : " حتى لا تكون فتنة ...". ومشكلة هذه الجملة أنها مرتبطة بالفعل (قاتلوهم).

والنتيجة أن القتال المرتبط بشرط الفتنة في الدنيا يتحول إلى قتال بالمعنى المطلق، أي بدون قيد أو شرط. وفي هذا الكلام ما فيه من نعت للمسلم بالتعطش للدماء !!

- ويتحول اسم (الجلالة) (الله) إلى (يهوه) في كثير من الصفحات في الترجمة العبرية.

- وقد تصل الإساءة في الترجمة إلى الحد الذي يجعل كثيرا من الأحكام الفقهية الإسلامية تتقلب رأسا على عقب، كما هو الحال في الآية 237 من سورة البقرة (عقدة النكاح).

- ومما يثير الكثير من الاستغراب أن الاختلافات بين الترجمات لمعاني القرآن الكريم قد تصل إلى درجة تبدو وكأن كل ترجمة انطلقت في الأصل من كتاب مغاير تماما للترجمة الأخرى.

وهذا ما انتبه إليه د. محمد عبد الصمد زعيمة حينما قارن بين ترجمتي ريفلين (من 1933 إلى 1936) وأهارون بن شمش (1971).

فعلى الرغم من أن الترجمة انطلقت من نص واحد، وهو القرآن الكريم، وفي فترة تاريخية ليست بعيدة جدا، إلا أن الترجمتين تعطيان انطبعا، وكأن النص المترجم ليس مصدرا واحدا، أي كأنهما نصان مختلفان تمام الاختلاف !! - يبدو أن هاجس الترجمة العبرية لمعاني القرآن الكريم سوف يظل واحدا من التحديات الكبرى التي يقوم عليها المشروع الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط.

والدليل هو هذا المشروع الجديد على شبكة الأنترنت: قرأت / קראנט Quranet / الذي تبنته وأطلقته وزارة الخارجية الإسرائيلية عام 2007.

ويقوم مشروع (عوفير غروسبارد)، وهو عالم نفساني سيكولوجي سريري. ويحمل لقب دكتوراه أخرى في تسوية الخلافات من جامعة جورج ميسون في ولاية فيرجينيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وهو أيضا مختص في التربية وعلم النفس والتعددية الثقافية. وهو محاضر في جامعة حيفا وفي الكلية الأكاديمية العربية للتربية في حيفا. وهو أيضا باحث مشارك في كلية الأمن القومي.

صدر له سنة 2008 كتاب "القرآن الكريم" باللغة العبرية. وله أيضا سنة 2007 كتاب عن "مناحيم بيغن، صورة زعيم".

ويسعى مشروع (قرآنت)، كما تقول صفحته الرئيسية في البوابة الإلكترونية، لأن يكون جسرا بين الإسلام والغرب !
ونكتفي هنا بهذه المعلومات العامة لأن المشروع ما يزال في مراحله التجريبية فقط.

يبدو أن الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم تثير الكثير من النقاش باعتبارين أساسيين على الأقل، وهما:

- طبيعة القرآن الكريم، وما يتصل به من فكرة الإعجاز بمعناها العام.
- طبيعة اللغة العبرية نفسها لارتباطها بالتوراة والكتاب المقدس من جهة، وفكرة الدين الموحى والنص المنزل من جهة أخرى.

ونكاد نزعم أن الترجمة العبرية لمعاني القرآن الكريم سوف تظل الترجمة الأكثر إثارة للجدل داخل الأوساط الثقافية، كما سوف تمثل تحديا كبيرا أمام فكرة الترجمة نفسها !!

كما نكاد نزعم أن مصداقية عملية الترجمة سوف يكون المحك الأساسي لها هو ترجمة النص القرآني تحديدا، وليس النص الديني عموما، وذلك لطبيعة العلاقة التي تجمع اليهودية بالمسيحية والإسلام، ولطبيعة المفاهيم الدينية

الوجودية التي قامت عليها كل ديانة سماوية، ولطبيعة التطور التاريخي الذي لحق بكل ديانة.

ولعل الملاحظات التي أبديناها حول ترجمة ريفلين تكون حافزا لنا لكي نقوم بترجمة عربية - إسلامية للقرآن الكريم إلى اللغة العبرية تحديدا، قبل غيرها من اللغات الإنسانية الأخرى. ومن شأن هذه الترجمة أن تزيل كثيرا من اللبس والغموض والإبهام بين الديانات والثقافات والحضارات والشعوب.

وبالقدر نفسه الذي ندعو فيه إلى ضرورة توفير ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية أولا ندعو إلى ضرورة توفير ترجمة إسلامية للكتاب المقدس إلى اللغة العربية، دونما حاجة إلى الوساطة. ونقصد هنا التصور المسيحي في علاقته بالديانة اليهودية.

ولعلنا بهاتين الترجمتين نستطيع المساهمة بنصيب وافر في الفعل الثقافي والحضور الفكري، وذلك لكي نبدي وجهة نظرنا، ونعطي رأينا في قضايا تمس وجودنا وكياننا وعقيدتنا.

لذا علينا أن ننتقل من ردة الفعل إلى الفعل.